توصيف مدرسة الاستشراف الألمانية لموقف الإسلام من المرأة - دراسة مقارنة بين نظرة الرجل (المستشرق) والمرأة (المستشرقة)

أ.م.د.ناهضة مطير

كلية التربية – جامعة واسط

تنوعت الدراسات التي تناولت مصطلح الاستشراق (١) إذ قدم الكثير من الباحثين رؤى تكاد تتفق على ان معناه لا يخرج عن كونه ، كل ما صدر عن الغربيين من اوربيين وامريكيين من دراسات حول الشرق وديانات وحضارته والتركيز بصورة كبيرة على الدين الإسلامي في عقيدته وتشريعاته والتعمق في دراسة احوال المسلمين ، حيث كان الغرب في العصور الوسطى يئن من الفوضى والاضطراب كما اطلق على الباحثين الذين خاضوا غماره اسم المستشرقين (٢) .

لا شك في ان الكثير من الدراسات التي تناولت موضوع الاستشراق اختلفت في تحديد تاريخ ظهوره ودوافعها واسبابها وعوامل ديمومته لقرون طويلة وكذلك اسباب التطرف الذي اصاب اغلب دراسات المستشرقين ، والتي كما يبدو انها اتخذت اتجاهين رئيسين الاول منهما ما يدخل ضمن العدائية والتعصب والثاني يمكن ان نسميه بالاتجاه المنصف والمعتدل الذي تدفعه الرغبة في المعرفة والعلم (٣).

وشمل الاختلاف ايضا تحديد جغرافية مصطلح المشرق والشرق ، وبما ان محور دراساتهم قد تركز حول الاسلام الذي ظهر في الشرق ، ومحاولة الكشف عن سر نجاحه في قيادة التغيير الجذري للواقع المجتمعي سواء العربي منها او للشعوب التي انضوت تحت لوائه ، ولا ريب في ان الكثير من التغيرات الجغرافية . الحضارية طرأت على مفهوم الشرق في مختلف العصور (٤) .

ومن اجل تقديم الدعم لهؤلاء الراغبين بدراسة حضارة الشرق ، اتجهت اكثر الدول الغربية إلى تاسيس مراكز ابحاث علمية متنوعة تتعلق بدراسة الدين والمجتمع الإسلامي كما شجعتهم على اقامة المؤتمرات والندوات (٥) ولعل الاهتمام بدراسة واقع المراة المسلمة كان في مقدمة القضايا التي شملتها الدراسات الاستشراقية ، فكان تأسيس اقسام في المراكز والجامعات تحمل اسم (دراسات المرأة) قدمت في اغلبها بحوثا غير منصفة عن المرأة المسلمة ، بالمقارنة بواقع المراة الغربية في مجتمعاتهم ، إذ انتقدوا التعاليم الاسلامية التي تخص المرأة والواقع الذي عاشته في الماضي والحاضر من خلال ما ذكرته بعض المصادر الاسلامية والعلاقة بينها وبين الرجل والقوانين او التعاليم التي حددت حركتها (٦) دون ان يأخذوا بنظر الاعتبار ان الالتزام بالتعاليم الاسلامية هي عنوان المسلم والمسلمة ، والتي لا بد ان تكون كما ارادها هذا الدين ، وفيها القوانين الثابتة والاخرى المتغيرة التي تواكب التطور الكوني ، فضلا عن ذلك فأن الاحداث السياسية والاجتماعية وتوالي المتسلطين على البلاد الاسلامية ، لها اثرها الكبير على واقع المجتمع ، وكانت سببا في تبني افكار وآراء مستندة إلى واقعها المعاش ، والتي اصبحت بمرور الزمن تقاليد متشددة تجاه المرأة .

ولعل ما ذكرناه اعلاه يكون دافعا للباحثين والباحثات للاخذ بزمام المبادرة من خلال توجيه الدراسات لتتناول وضع المرأة في الغرب والاستعباد الذي تواجهه من المجتمع .

ركزت في بحثي هذا على توصيف موقف مدرسة الاستشراق الالمانية ، من خلال كتابات بعض روادها من النساء والرجال ، لأبين موقف الرجل والمرأة الغربيين من المرأة المسلمة ؟ طبعا مع الاخذ بنظر الاعتبار انعكاس تأثير تطور المستوى العلمي والتكنولوجي الذي بلغته الدول الغربية ، على نظرتهم لمجتمعاتنا ، حيث سخرت هذا التقدم لخدمة مواطنيها ، وبالتالي ارتفع مستوى معيشتهم ، مقارنة بمستوى معيشة اغلب الدول الاسلامية وهذا ما ينعكس بدوره على وضع المرأة الذي شهد ترديا وانتكاسات كبيرة ، وذلك لاسباب مختلفة منها سياسة الحكومات وموقف رجال الدين المتشددين فضلا عن اختلاف نظرة المذاهب لقضايا المرأة ؟ والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل ان الانتقادات التي وجهها المستشرقون (نساء ورجالا) للمرأة في الاسلام تتعلق بالاحكام الدينية التي فرضها الدين ومنها موقف الدين من حق المرأة في الارث او الشهادة او تعدد الزوجات ام في نظرته لمسألة الحفاظ على الشرف والعفة والالتزام الاخلاقي الذي ينعكس على التصرفات والاتشام في الملابس ... الخ .

وهل ان لسياسة الجبر والوصاية على المرأة ، والتي اجبرتها على الالتزم بعادات وتقاليد لم يأت بها نص ديني ، اثر في تلك النظرة للمرأة ؟ ثم على اي الامور ركزت المستشرقات كنساء ، في عرض موقف الاسلام من المرأة ؟ وذلك لكي نحدد عمليا ، مواقف النساء الغربيات من التعاليم الاسلامية الخاصة بالمرأة سواء التي سمعن بها او قرأن عنها ، وياتي التركيز على

المدرسة الالمانية ، وذلك لاهتمامها المبكر بالاسلام والدراسات العربية الاسلامية ، فضلا عن تميز اغلب دراساتها بالرصانة العلمية والجدية وعدم التعصب إلى حد كبير .

ركز المبحث الاول على ذكر ابرز رواد هذه المدرسة ، وتناول المبحث الثاني ذكر النصوص القرآنية التي ضمت احكام تخص المرأة ، ويأتي اعتمادنا على القرآن الكريم ، وذلك لانه محفوظ من الله تعالى بقوله " وإنا له لحافظون" (٧) لذلك لا يمكن الطعن فيه ، وخصص المبحث الثالث لمقارنة آراء المستشرقات مع المستشرقين الالمان وذكر ابرز انتقاداتهم للتعاليم الاسلامية التي تخص المرأة المسلمة وكيفية التعامل معها والغرض من ذلك معرفة موقف المرأة الغربية المثقفة (المستشرقة) من تلك التعاليم والاحكام التي نظمت حياة المرأة المسلمة ، إزاء موقف مواطنها الرجل (المستشرق)، وتوضيح رؤاهم للكشف عن حالة الفوضى والضياع التي شهدتها حياة المرأة الغربية ، حيث سلبت حقوقها بين الرجال الباحثين عن المتعة فقط وبين شعورها باليأس والانهيار الذي يؤدي الى المصير المجهول ، هذا فضلا عن عدم قدرة القوانين على ضمان حقوقها الى الوقت الحاضر ونحن نعيش في القرن الواحد والعشرين ، مع كل التضحيات التي قدمتها المرأة الغربية ، في حين ان الاسلام قبل اكثر من ١٤٣٣ سنة فقط اعطى للمرأة حقوقها دون اجحاف ونظم حياتها .

المبحث الاول . ابرز رواد (نساء ورجالا)

المدرسة الالمانية ونتاجاتهم الفكرية :

لا شك في ان الكثير من المفكرين والباحثين الالمان اهتموا بتاريخ الاسلام وتمعنوا في النظر في احداثه بدءً من ظهور الرسول وقيادته للدعوة والدولة

الاسلامية ، ولا زالوا ، حيث تهيأت لهم فرص الاطلاع على التاريخ من خلال تحقيق كتب التراث الاسلامي المخطوط في مكتبات وجامعات العالم .

تميزت مدرسة الاستشراق الالمانية بميزات عدة لعل من ابرزها هو انها لم تكن مندفعة بغايات سياسية او دينية او استعمارية لذلك فقد جاءت دراساتها عادلة ومتزنة غير عدائية الى حد ما وفق منهج علمي دقيق (٨) فالاستشراق الالماني وفقا لرأي الدكتور صلاح الدين المنجد " لم يعرف مستشرقين جعلوا دينهم عداء العرب والاسلام بل بالعكس "(٩) .

كما ان دراساته تركزت في اغلبها على نشر النصوص القديمة والمخطوطات والتأليف في ميادين الثقافة الاسلامية المختلفة ، من كتب ومعاجم مختلفة في التاريخ واللغة .

ومن ابرز اعلام هذه المدرسة :

. يوهان جاكوب رايسكة (١٧١٦ . ١٧٧٤) ، . آدم متز (١٨٦٩ . ١٩١٧) ، يوليوس فلهاوزن (١٨٤٤ . ١٩١٨) ، تيودور نيلدكة (١٨٣٦ . ١٩٣١) ، كارل بروكلمان (١٨٦٨ . ١٩٥٦)

. جوزيف شاخت (١٩٠٢ . ١٩٦٩) ، زيغريد هونكة (١٩١٣ . ١٩٩٩) ، آنا ماري شميل (١٩٢٢ . ٢٠٠٣) .

وقد قدمت الموسوعات العلمية التي ضمت تفاصيل عن حياة المستشرقين العلمية والاجتماعية ونتاجاتهم وقيمت جهودهم العلمية سواء الاوائل منهم والمتأخرين ، حتى انها اغنت الباحثين كثيرا ، في تقديم صورة عن هؤلاء المستشرقين بمختلف مشاربهم القومية والدينية (١٠).

ولا شك في ان ما ذكرناه اعلاه من جدية وتميز المدرسة الالمانية ، قد دفع الباحثين الى كتابة موسوعات خاصة بهم .

المبحث الثاني . مكانة المرأة في الاسلام

ليس الغرض من هذا المبحث ان اكرر ما كتب عن المرأة ، لكني اود ان اقدم صورة المرأة من خلال الكتاب المقدس (القرآن الكريم) ، الذي من المؤكد ان الباحثين في الدين والمجتمع الإسلامي من مستشرقين وغيرهم ، إطلعوا عليه كونه الدستور الاول للمسلمين الذي لم يناله التحريف او الوضع .

لا شك في ان الانتقاد الذي وجهه الاسلام لبعض العادات ، فيما يخص البعض ممن تعامل بجهل مع المرأة ، دليل لا يقبل الشك في ان الاسلام رفع من مكانتها ، وذلك من خلال المنهج الحياتي الكامل الذي وضعه ، حتى انه ساواها بالرجل إلى حد كبير إلا في الحالات التي كرمها بها الخالق (اعني تشريع قوانين تناسب طبيعتها الجسدية والنفسية) ، وذلك كما جاء في النصوص القرآنية ، فضلا عن السنة النبوية التي حملت لنا الكثير من احاديث الرسول والطريقة المثلى التي تعامل بها مع النساء وتحديدا زوجاته وقريباته والمسلمات عموما(١١) ، وهي تقدم دليلا لا يقبل الشك في ان الاسلام لم يهن النساء لكنه عمل على خلق منظومة انضباط لتصرفاتها ابتداءً من كونها بنت صغيرة ثم مراهقة وشابة ، إذ لا بد من متابعتها وصيانتها كما شرع ايضا منظومة شرعية للرجل (صغيرا ثم مراهقا وشابا) فجاء قوله تعالى في تحريم قتلها او التشاؤم من ولادتها بقوله تعالى " " واذا المؤودة سئلت"(١٢) وقوله"ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم" (١٣) وقوله" واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا"(١٤) كما ساواها بالرجل إلى حد كبير بقوله تعالى " ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف" (١٥) وجعلها من نفسه ، بمعنى القرب الروحي له بقوله تعالى " ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة " (١٦) واوجب الالتزام بالمعاملة الحسنة شرعا بقوله تعالى " وعاشروهن بالمعروف" (١٧)

فضلا عن ذلك فقد وردت في القرآن مفردات كثيرة ، كمسميات خص بها الخالق المرأة ، فقد وردت مفردة النساء في ثمانية وخمسون موضعا بتعابير مختلفة تتفق في المعنى مرة بصيغة الجمع وهي نساءكم ، ونساءنا ، ونساءهم ، ونساؤكم ، ونسائكم ، ونسائهم ، ونسائهن (١٨) ، وفي مرة اخرى بصيغة المفرد في ست وعشرون موضع وهي امرأتك وأمرأته وأمرأتي وامرأتان وامرأتين (١٩) ومفردة الانثى في ست وعشرون موضع (٢٠) ومفردة المؤمنات في ثمانية وعشرون موضع (٢١) ومفردة الاماء في موضعين (٢٢) كما وردت كلمة المؤمنون بصيغة تدل في معناها على الذكر والانثى في اكثر السور (٢٣) وقد كرم الله جل وعلا بعض النساء بذكرهن في القرآن الكريم اما بأسماء ازواجهن او بأسمائهن ومنها السيدة مريم العذراء ، إذ ورد ذكرها في اربعة وثلاثون موضعا(٢٤) وزوجة فرعون(٢٥) وبلقيس ملكة سبأ(٢٦) وكذلك مفردة الامهات (٢٧).

إذن الاسلام كان منصفا مع للمرأة ، لكن لا بد من القول بأن تطبيقاته اختلفت ، فالاسلام كدين حمل نظرية لادارة المجتمع ، تحقق للبشرية بفرعيها (الذكر والانثى) توازن حياتي ، طبقها النبي والرسول (ص) في دولته في المدينة المنورة ، لكن الخلل حدث بعد ذلك ، وتحديدا في العصرين الاموي والعباسي وما بعدهما ، حيث ان الكثير من التعاليم والقوانين التي شرعها الاسلام قد حرفت او عطلت ، وفقا للزمن والمتغيرات التي يمر بها فضلا عن دخول اقوام مختلفة للاسلام بما تحمله من موروث قد لا يتناسب مع المجتمع العربي الإسلامي إلى حد كبير ، لا سيما معتقداتهم القديمة وكذلك تفسيرات الفقهاء المتنوعة التي اختلفت وفقا لمذاهبهم او رؤيتهم للمسائل الدينية او السياسية والاجتماعية وما يقتضيه الوضع والحفاظ على الامة ... الخ (٢٨) لذلك فقد عاد المسلمين طبعا بصورة متفاوتة من مجتمع لاخر

إلى ما ورثوه من عادات سواء ما يتعلق بتعنيف المرأة او حرمانها من امور كثيرة اقرها الاسلام ، وهذا في الحقيقة ، كان سببا للانتقادات الكبيرة والتهجم العنيف فيما يتعلق بموضوع المرأة وحقوقها ، إذن فالخلل في التطبيق وليس في نظرية الدين .

المبحث الثالث . رؤيتهم (المستشرقات والمستشرقين الالمان) للمرأة في الاسلام .

ادرك بعض المستشرقين ، الفرقُ بين الاسلام الدين ، (النظرية والتطبيق) وتطوره عبر الاجيال ، لذلك جاءت قراءاتهم منصفة إلى حد كبير ، حتى انهم ميزوا بين ما ذكرناه اعلاه وعدوا تعاليم الاسلام هي التي حققت للمرأة مستوى عال من الرقي والرفعة ، وذلك متمثلا بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع زوجاته فضلا عن تميز الكثير من المسلمات في مختلف صنوف العلم عبر تاريخ المسلمين الطويل والى الآن (٢٩)

سأتناول في البدء آراء اثنين من المستشرقين الالمان ، وهما آدم متز في كتابه "الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري"(٣٠) وبروكلمان في كتابه " تاريخ الشعوب الاسلامية "(٣١) والغرض من ذلك هو ان ابين كيف نظر الرجل الغربي إلى المرأة في الاسلام في ظل التعاليم التي فرضت عليها ، ثم اقارنها بآراء اثنين من المستشرقات ، وهن زيغريد هونكة في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب" (٣٢) وآنا ماري شيمل في كتابها " الابعاد الصوفية في الاسلام وتاريخ التصوف"(٣٣) ، وما هي نظرتهن للمراة الاخرى ، العربية والمسلمة ، كإنسانة ؟ وهل هناك فاصل فكري في رؤيتهن للمرأة تلك ؟ .

يبدو من الاراء التي طرحها آدم متز انه كان اكثر اتزانا في عرض افكاره وكذلك ناقش امورا كثيرة فيما يخص المراة المسلمة والقوانين التي نظمت حياتها ، حتى انه دعم آرائه بنصوص من القرآن ، على عكس بروكلمان حيث انه في بعض افكاره كان شديدا قد نظر من زاوية اخرى للدين الإسلامي وللتقاليد والعادات ، ولا شك في ان هذا النقد لا يضعه من جمهرة العدائيين للاسلام ، لان هؤلاء نظروا للمجتمع العربي الإسلامي وللدين ذاته من خلال نظرتهم ودينهم وعاداتهم وتقاليدهم التي تربوا عليها

وهناك مسألة لا بد من الوقوف عندها وهي ان العادات والتقاليد وحتى تعاليم الاسلام ذاتها ومدى الارتباط بها او تطبيقها تتعلق بالشخص ذاته وبالظروف التي يعيش فيها فضلا عن الجو السياسي والاجتماعي والاقتصادي وهذه امور حضارية حركتها بطيئة يحتاج لها وقت للتغيير او التطوير وفي ضوء ذلك يمكن ان نحدد كيف نظر المستشرقين (متز وبركلمان) اعلاه للمرأة في الاسلام:

١ . يبدو ان المواضيع التي شغلت افكارهم تركزت حول المرأة الحرة والجارية ، والزواج بواحدة او اربع وملك اليمين ، والطلاق ، وشرعية الطفل اذا كانت والدته امة (٣٤)، وهذه الامور حدد لها الدين الإسلامي حلولا انصف فيها المرأة (٣٥)، لكن المشكلة في مستويات التطبيق لتلك الحلول ومدى قناعة الناس وفقا لازمانهم ـ والتي تحمل متغيرات كثيرة ـ فيها .

ذكر متز ان القرآن حث على تزويج الاماء حفاظا لهن ، كما ان الجواري تمتعن بالنعمة فلها ان تشتري حريتها بالمال وتشتغل بالعمل الذي تريده (٣٦) ، ولا شك في ان اكثر الانتقادات التي وجهت للمسلمين هو الاكثار من الجواري لان ذلك يؤدي من وجهة نظر بروكلمان بابناء الاسر الموسرة إلى الاستخفاف بالحياة العائلية ، كما انه يفتح الباب لتهجين المجتمع (٣٧)، ولنا

ان نقول ان الخلفاء والحكام هم من اكثروا ، ثم ياتي بعدهم الولاة والوزراء الخ من المتمكنين ماديا ، اي انه اختص بفئات معينة من المجتمع ، فضلا عن ذلك فقد كانت كثرة الجواري مرتبطة بالفتوحات الاسلامية ، اما وقد توقفت ـ إلى حد كبير ـ في العصر العباسي فقد اقتصرت على جلبهن باعداد معينة للبيع او الاهداء (٣٨).

٢ . فسر متز الروايات التاريخية في اكتفاء رجال الطبقة الوسطى (وهذه التسمية يستخدمها الغرب في تقسيمهم لطبقات المجتمع) بزوجة واحدة ، هو لانهم استمتعوا بالجواري ، اللواتي تميزت بعضهن بالحظوة كما كان الحال عند اليونان القدماء ، حيث كن متقنات لارقى الاداب الاجتماعية حائزات على كل مظاهر الجمال والثقافة والفن قديرات على الحديث من غير وجل (٣٩)، وهذا لا يصح تعميمه على كل المجتمع .

٣ . يرى بروكلمان ان الطلاق امر ميسور في الاسلام (٤٠) ولا اعرف ما هو الاساس العلمي الذي استند عليه ، وذلك لانه في الايات القرآنية والاحاديث النبوية ، التي نظمت حياة الفرد المسلم ، قد عُدَ الطلاق " ابغض الحلال " (٤١) فكيف يكون ميسور .

٤ . ان العادات والتقاليد التي ترتبط بالحفاظ على الشرف والتي اكدها الاسلام فرضت انماط مختلفة للتعامل مع النساء تختلف وفقا للمتغيرات التي يعيشها المجتمع فيذكر متز انه في القرن الرابع الهجري ظهرت اصوات تطالب بحجر المراة (تقييد حركتها) فيقول " ان العادة المستحسنة في نظر الشرع هي ان تقر النساء في بيوتهن ولا تحمد لهن كثرة الخروج وهي ادب شرعي " بالنسبة للمتزوجة وغير المتزوجة ، وهذه مسألة عرفية وشرعية اذ لا شك في ان كثرة الخروج للمرأة مكروهة باتفاق الشارع المقدس ، ثم يقول ان هذه اصبحت حالة متبعة بين " الاشراف والكبراء " (٤٢) ان قوله هذا لا يصح

اعمامه على كل العصور ولا على كل الاسر ، اذ لا يصح القول ان الناس العامة سمحوا لنسائهم بالخروج على عكس الكبراء الذين يصفهم متز ، فضلا عما ذكرناه اعلاه ، فان الفقهاء اعطوا تشريعات فقهية عامة في كثير من المسائل ومنها خروج المرأة ، وليس حجرها ، تختلف وفقا لزمانها وبيئاتها(٤٣) .

ويبدو ان هذا الحرص على المرأة قد اثرت في طبائع اهل المدن التي وصل لها العرب المسلمين ومنهم الاسبان التي انتقلت منهم إلى الايطاليين ، وفي ذلك يقول متز انه " كانت لا ترى امرأة قط في شوارع ايطاليا حوالي منتصف القرن السابع عشر الميلادي " (٤٤).

ولنا ان نقول ان هذا الخوف لم يمنع النساء من التعليم حيث تمكن البعض منهن ان يكن عالمات يقبل الناس عليهن ، حتى ان الفقهاء جوزوا لها الافتاء فابو حنيفة جوز لها الافتاء فيما تصح شهادتها فيه في حين جوز ابن جرير الطبري الافتاء في جميع الاحكام (٤٥) .

٥ . طرح بروكلمان مسألة مهمة جدا وهي شيوع الاباحية قبل الاسلام (٤٦) وهذا مردود عليه ، لانه كما ذكرنا سابقا بان العرب كانوا يعتزون بنسائهم وهذا ما يفسر خوفهم وحرصهم ، كما حملت روايات اخرى صور اعتزاز الكثير من الرجال بالمرأة ، وتحديدا الام منهن ، حتى انهم انتسبوا لهُنَ ، لذلك فقد وردت روايات عديدة عن نساء تَمكَّنَ اجتماعيا في مجتمعاتهُنَ ، فكانت منهُنَ العرافة والمتنبئة والشاعرة ، حتى ان بعض آلهة العرب ، كُنَ اناثا كاللات والعزى ومناة ونائلة واساف (٤٧) .

لعل نظرة المرأة المستشرقة لواقع المرأة الاخرى ، من خلال ما سنذكره لاحقا ، يعطي دليلا لا يقبل الشك في ان رؤيتها كانت اعمق من رؤية الرجل (المستشرق) في هذه المسالة ، واكثر دقة ، لانهُنَ نساء بالدرجة الاولى ،

فالقضية تخصهُنَ ، لذلك فقد نظرَّنَ للتقدير والتشريف الذي نالته المرأة في مجتمعها ، وقرأنَّ القرآن الكريم والواقع جيدا ، وقارنَّ بين الواقعين الذي تعيش فيها المرأة في الغرب والشرق في العصور الوسطى ، وهذا ما اكدت عليه المستشرقتان الالمانيتان زيغريد هونكة وآنا ماري شيمل ، وقد ساقتا ادلة كثيرة على ما ذكرتاه ومنها :

١ . ترى هونكة ان العرب قاوموا كل التيارات المعادية للمرأة واستطاعوا القضاء على هذا العداء وجعلوا من منهجهم مثالا احتذاه الغرب ولا يملك الان منه فكاكا ، فالمجتمع الغربي يدين اليوم بطريقة معاملته للنساء . على اختلاف مشاربهُنَ . للاسلام (٤٨) .

٢ . ان احترام العرب للنساء يظهر بوضوح عندما نرى انهم خصوهُنَ بفيض من العطور وبانواع الزينة والتي وان لم تكن غير مجهولة قبلهم الا انها فاحت بثروة الشرق العطرية الزكية وبالاساليب الفائقة في تحضيرها (٤٩) .

٣ . ظلت المرأة في الاسلام لها مكانة اعلى وارفع مما كانت عليه ، فلم يحمل الاسلام للمرأة (حواء) مسؤولية غواية آدم ، وكان خطابه متوازن في طرحه للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات ، وتذكر هونكة نماذج لنسوة كُنَ المثال الذي احتذى به في الاسلام ومنهُنَ السيدة خديجة (ع) التي عُدتْ نموذجا لشريفات العرب عاشت مع الرسول اربعة وعشرون عاما كانت لها شخصيتها ومالها ومكانتها الرفيعة في مجتمعها ، وكذلك زوجاته الاخريات وبناته ، وهذا ما لم تجده في الرهبانية المسيحية في العصور الوسطى (٥٠) .

٤ . اجاز الرسول للنساء الاستزادة من العلم والمعرفة كالرجال تماما ، حيث لمعت شيخات واديبات وشاعرات ، ولا شك في ان المجتمع في العصور

الاسلامية ، التي شهدت فوضى داخلية كان لا يرى في ذلك غضاضة او خروجا على التقاليد (٥١) .

٥ . قدس الاسلام الزواج وطالب بالعدل بين الزوجين او الثلاث او الاربع في المعاملة " فان خفتم الا تعدلوا فواحدة" (٥٢) والمشكلة كما تراها هونكة ليست اقتصادية اذا تراها من وجهة نظرها هي وفاء العربي الاصيل المسلم لزوجته ووفائها له حتى يفرق بينهما الموت (٥٣) .

٦ . لا شك في التغيير في مستوى النظر للمرأة جاء وفقا لرؤية هونكة . ونظرتها هذه تختلف عن رؤية بروكلمان . عندما كثرت الجواري في قصور العباسيين وقدمت الجاريات الفارسيات واليونانيات وبدت هناك مسالة وجود نوعين من النساء حرة والجارية حيث قيدت حرية المراة حين سيطرت العادات الفارسية القديمة (٥٤).

٨ . وهناك مسألة ركزت عليها آنا ماري شميل ، في كتبها ، وهي تصوف النساء ، والذي عدته من انسب فروع الاسلام لتطور انشطة النساء بعيدا عن المذاهب المتشددة ، حيث شاركنَ النسوة المتصوفات في الحياة الدينية والاجتماعية ، فتقول " انه عند الصوفية ينعدم الفرق بين الرجل والمراة لانهم لم يعد لهم في وحدانية الله وجود منفصل "(٥٥) وكان يسمح لهُنَ بحضور جلسات الوعظ الصوفية في العصر المبكر ، كما تحدث المؤرخون في اواخر العصور الوسطى عن زوايا تجتمع فيها النساء لسلوك الطريق الصوفي او ليعشنَ حياة دينية بصبغة عامة ، لذلك فقد ساهم الكثير منهُنَ في دعم الزوايا وبنائها وتوسيع الاهتمام بها ، باقامة التجمع الصوفي النسوي في منازلهُنَ (٥٦) .

٩ . كما تحدثت عن نساء أثارت سيرتهُنَ اعجاب الناس على مدار العصور وهُنَ من اللواتي وصلنَ إلى الولاية ، فوصفت رابعة العدوية ناسكة القرن

وصاحبة الحب الصادق ، والسيدة نفيسة ٨٢٤هـ التي عرفت بالاستقامة والصلاح (٥٧) .

١٠ . على الرغم من مكانة المرأة تلك ، في التصوف الا ان المرأة في وجودها ككائن بشري ، تبقى حتى لبعض المتصوفين خطرا ، لانها قد تشغلهم عن ذكر الله لذلك شبهوا الدنيا والنفس الدنيئة بالمرأة التي تجر النفس الصادقة إلى فخ الدنيوية ، لكنهم مع ذلك ، عدوا من يقع في حب المرأة والزواج ، بمثابة اختبار او ابتلاء ، ياخذ بهم إلى طريق الله تعالى ، وتعلق شيمل على ذلك بالقول انه " على الرغم من ذلك فان المسلمين لم يصلوا الا في حالات نادرة إلى تلك المستويات من الكراهية للمرأة التي بلغها الكتاب المسيحيون في العصور الوسطى في كتاباتهم المستفيضة عن النساء ولعنهن " (٥٨) .

الخاتمة

لا شك في ان الاسلام بما يحمله من قيم واخلاقيات تسمو بالانسان الذي فضله الخالق جل وعلا على سائر مخلوقاته ، وجعل الرسول محمد (ص) حاملا وعاملا بها بقوله " وإنك لعلى خلق عظيم" ، قد اثار انتباه العلماء

والمفكرين على ما يزيد عن ١٤٣٣ عام ، حيث تناولته الافكار والاقلام وفقا لما تؤمن به او تلبية لرغبات مدفوعة الثمن .

انطلاقا من ذلك فقد اختلفت الكتابات التي تناولت الوجود الإسلامي (كديانة ومجتمع) بالدراسة والتدقيق والبحث عن دقائق الامور بقصد الطعن والانتقاص او قد يكون من باب الدفاع عن العقيدة التي يحملها الكاتب إلى غير ذلك ، ومن الطبيعي ان يكون لتعاليم الاسلام ، التي تخص المرأة ، نصيبها من التي فرضها على من المرأة .

نحن اولا لا بد من ان نميز بين النصوص القرآنية وبين تفسيرات العلماء والفقهاء الذين قد يدفعهم الواقع السياسي والاجتماعي والاجتماعي والنفسي الذي يحيط بهم او مذاهبهم إلى تقديم تشريعات او قوانين تكبل حرية المراة او تسلبها المكتسبات التي منحها الخالق لها .وكذلك لا بد من التمييز بين المرأة التي عاشت في عصر ما قبل الاسلام حيث كانت تحكم المجتمع قيم وصفت ب(الجاهلية) عند الكثير من الباحثين وبين قيم الاسلام .

ان المرأة بطبيعة تكوينها ، وخلقها الالهي ، ترنو نفسها إلى ما فرضه الرب العظيم على المرأة ، وإن كانت غربية في مجتمع سيطر فيه بعض دعاة الاباحية على مركز القوة والسلطة وهذا ما يدعونا إلى النظر بإعتزاز إلى تلك النسوة اللاتي رفضنَ تقاليد مجتمعاتهُنَ ، وبنينَ لانفسهُنَ حياة مملوءة بالشرف والالتزام .

المصادر والهوامش

١ . منها فاروق عمر فوزي ، الاستشراق والتاريخ الإسلامي (الاهلية للنشر ، عمان ، ١٩٩٨) ؛ زقزوق ، محمود حمدي ، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٧) ؛ النملة ، علي بن

ابراهيم ، مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين (مكتبة الملك فهد ، الرياض ، ١٩٩٣) .

٢ . فاروق عمر فوزي ، الاستشراق ، ص١٧

٣ . الديب ، عبد العظيم ، المستشرقون والتراث (دار الوفاء ، المنصورة ، ١٩٩٢) ص١٠

٤ . زقزوق ، الاستشراق ، ص ١٢

٥ . النملة ، مصادر ، ص٨

٦ . باقادر ، ابو بكر ، التصور الغربي الحديث للمرأة المسلمة ، عالم الكتب ، مج ٤ ، ع١ ، ١٤٠٣ ، ص ص ٨٢. ٨٨ ؛ النعيم ، عبد الله محمد الامين ، الاستشراق في السيرة النبوية ، ط١ (المعهد العالي للفكر الإسلامي ، الخرطوم ، ١٩٩٧) ص١٣٣

٧ . سورة يوسف ، آية ٦٣

٨ . المنجد ، صلاح الدين ، المستشرقون الالمان تراجمهم وما اسهموا في الدراسات العربية (دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٨) ج١ /ص٧

٩ . م . ن ، ص٨

١٠ . م . ن ، ص٨ ؛ بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة المستشرقين ، ط٣(دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٩٣)

١١ . الاطرقجي ، واجدة ، المرأة في ادب العصر العباسي (دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١) ص٢٤

١٢ . سورة التكوير ، آية ٨

١٣ . سورة الاسراء ، آية ٣١

١٤ . سورة النحل ، آية ٥٨

١٥ . سورة البقرة ، آية ٢٢٨

١٦ . سورة الروم ، آية ٢١

١٧ . سورة النساء ، آية ١٩

١٨ . محمد فؤاد عبد الباقي ، المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم ،، ط٣ (قم ، ١٣٨٤) ، ص ٨٧١

١٩ . م . ن ، ص٩٧

٢٠ . م . ن ، ص١١٩

٢١ . م . ن ، ص ١١٨

٢٢ . م .ن ، ص١٠٣

٢٣ . م .ن ، ص١١٨

٢٤ . م .ن ، ص٨٤٠

٢٥ . م . ن ، ص٦٥٥

٢٦ . م .ن ، ص٧٤٥

٢٧ . م . ن ، ص١٠٢

٢٨ . اليوزبكي ، توفيق سلطان ، دراسات في النظم الاسلامية ، ط٢ (جامعة الموصل ، الموصل ، ١٩٧٩) ص ٢١٤

٢٩ . شيمل ، آنا ماري ، الابعاد الصوفية في الاسلام وتاريخ التصوف ، ترجمة محمد اسماعيل السيد ورضا حامد قطب ، ط١ (دار الجمل ، المانيا ، ٢٠٠٦) ص

٣٠ . نقله محمد عبد الهادي ابو ريدة ، ط٣ (مطبعة لجنة التاليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٥٧)

٣١ . نقله نبيه امين ومنير البعلبكي ، ط٦ (دار العلم ، بيروت ، ١٩٧٤)

٣٢ . نقله فاروق بيضون وكمال دسوقي ، ط٩ (الدار الجماهيرية ودار الافاق الجديدة ، الدار البيضاء ، ١٩٩١)

٣٣ . ذكرناه اعلاه

٣٤ . متز ، الحضارة ،ج١ / ص٢٩٠ ، بروكلمان ، تاريخ ، ص٨٠

٣٥ . المطهري ، مرتضى ، نظام حقوق المرأة في الاسلام ، ط١(دار الكتاب الإسلامي ، قم ، ٢٠٠٥) ص٥

٣٦ . م ، ن ، ج١ ،ص٢٩٠

٣٧ . تاريخ ، ص٨١

٣٨ . اليوزبكي ، دراسات ، ص٢١٥

٣٩ . ج١ / ص ١٧١

٤٠ . تاريخ ، ص٨٠

٤١ . ابو داود ، السنن ، رقم ٢١٧٨

٤٢ . ج٢ / ص ١٧٤

٤٣ . متز ، ج٢ / ص١٧٣

٤٤ . ج٢ / ص ١٧٠

٤٥ . حسن خليل سعد الله ، القول الفصل في تفضيل النساء في كل عصر (الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة، ٢٠٠٨) ص٢٠٩

٤٦ . تاريخ ، ص٨٠

٤٧ . العلي ، صالح احمد ، ، محاضرات في تاريخ العرب ، ط٢ (جامعة بغداد ، بغداد ، ١٩٥٤) ص ١٣٦ ؛ اليوزبكي ، دراسات ، ص٢١٢

٤٨ . ، شمس العرب ،ص ٤٧١

٤٩ . م .ن ، ص٤٧٢

٥٠ . م .ن ،، ص٤٧١

٥١ . اليوزبكي ، دراسات ، ص٢١٢

٥٢ . سورة النساء ، آية ٣

٥٣ . شمس ، ص ٤٧٢

٥٤ . م ، ن ، ص٤٧١

٥٥ . الابعاد الصوفية ٤٩١

٥٦ . الابعاد الصوفية ، ص٥٠٢

٥٧ . الابعاد الصوفية ، ص٤٩٥

٥٨ . الابعاد الصوفية ، ص ٤٩٥